

تمظهرات حقّ الهوية في أدب الطّفّل العربي- قصص محمد جمال عمرو أنموذجاً-

يوفر أدب الطفل تربة خصبة لإنبات كل ما من شأنه أن يغرس في شخصية الطفل ملامح هويته، ويجعله يعتز ويتمسك بها ويدافع عنها، وقد كان الكاتب (محمد جمال عمرو) حريصاً على أن يقدّم للطفل المتلقي العربي أساسيات هويته العربية، من خلال عدّة تمظهرات تتشكل من خلالها، حيث إن الخصوصية التاريخية والثقافية التي تجمع أفراد الوطن الواحد هي التي تشكل ذلك الأساس.

ولأن الكاتب اشتغل كثيراً على الكتابة للأطفال، فهو يعي جيداً أن حقوق الطفل لا ينبغي أن يتعرف عليها من خلال اللوائح القوانين، بل ينبغي أن تقدّم له في قالب تثقيفي وتعليمي بما يتناسب ومدرّكاته العقلية والنفسية، وقد اعتمد على آليات أسلوبية محدّدة رأى أنها الأصلح لمخاطبة الطفل العربي عموماً والطفل الفلسطيني على وجه الخصوص وجعلها يدرّكان قيمة الهوية التي يحملانها، ويطالبان بحقهما فيها ويدافعان عنها عندما تقتضي الضرورة، ونورد هذه الآليات ودورها فيما يلي:

-اعتماد الكاتب على الآليات الفنية الجمالية جعله يؤثر في الطفل المتلقي التّأثير الذي لا ينتهي بانتهاء لحظة التلقي، ولكنه التّأثير المستمر الذي يتملّك الطفل ويدفعه للتمسك بهويته.

-اعتماده المزج بين الخيال والتخييل بإبعاده الخيال عن وظيفته الجمالية المعتادة وإدخاله دائرة الوظيفية عن طريق عملية التخييل، ما يجعل الطّفّل المتلقّي يصل بخياله إلى حدود الواقع الذي تتشكّل فيه تمثلات هويته، ويتعداها بواسطة التخييل إلى حدود المأمول الذي يقود إلى انتصار العربي الذي يتمسك بهويته ويجاهد في سبيلها.

-وقد تمكّن محمد جمال عمرو بتركيزه على التّراث التاريخي العربي والقضية الفلسطينية من تطويع عقل الطفل المتلقي ووجدانه في آن واحد، مما يجعله قادراً على المطالبة باسترجاع حق هويته وكيّنونته.

وقد اعتمد محمد جمال عمرو على مكونين أساسيين من مكونات الخطاب السردّي في تعزيز الانتماء وتشكيل الهوية العربية وتقديمها للطّفّل المتلقّي:

-وظف الشّخصيات في القصة توظيفا استراتيجياً، بحيث جعل في كل قصّة ساردا مهيمنا عليماً بالأحداث التاريخية وتعاليم الدين الإسلامي، يكون غالباً هو الطفل نفسه بحيث يكون هو الموجّه والموجّه في آن واحد مما يضمن ترسيخ مبادئ الهوية في ذهن ووجدان الطّفّل المتلقّي.

-كما زواج بين الفضاء الزماني والمكاني من أجل مفاعلة ما هو تاريخي وما هو تخييلي، لأن العربي في الأساس يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخه وأرضه .

ونخلص إلى أن الهوية حق يكتسبه الطفل يوم ميلاده ، وأنّ أدب الطفل يشكل رافدا مهما من الروافد التي تسعى إلى تعريف الطفل بحقه في هوية خاصة به ،فهو الوسيلة الثقافية التي من شأنها أن تسهم في تنشئة جيل عربي متمسك بهويته وعناصرها وقادر على المحافظة عليها والدفاع عنها.